استدراكات الجعبري على أبي شامة في شرح الشاطبية

نماذج تطبيقية

مجلة البحوث والدراسات الشرعية

الأستاذ حسين بن مصطفى


دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

استدراكات الجعبري على أبي شامة في شرح الشاطبية نماذج تطبيقية

أ. حسين بن مصطفى*

سلم البحث في ٢/١١/١٤٣٦هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ٤/١٢/١٤٣٦هـ

ملخص البحث:

تعتبر منظومة (حرز الأماني ووجه التهاني) للإمام أبي القاسم الشاطبي (ت٥٩٠هـ) من أهم الأعمال العلمية في الشعر التعليمي؛ إذ لم يظهر فيه قبلها ولا بعدها ما يعادلها أو يقاربها على كثرة ما ظهر معها في الميدان لذلك حظيت هذه المنظومة باهتمام بالغ من قبل العلماء شرحا وبيانا لمعانيها ومقاصدها كلٌّ حسب توجهه العلمي والأدبي، ومن أشهر شروح هذا النظم شرح الإمام أبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ) المسمى "إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، وشرح الإمام الجعبري (ت٧٣٢هـ) المسمى "كنز المعاني في شرح حرز الأماني"، وقد كثرت استدراكات هذا الأخير على أبي شامة، لذلك يهدف هذا البحث إلى جمع بعض استدراكات الجعبري على أبي شامة ودراستها دراسة علمية محاولا الترجيح قدر الإمكان حسب ما يظهر للباحث والله الموفق.

Abstract:

Is a poem (Haraz aspirations and drew congratulations) to the Imam Abu Kassim Shatby (d. ٥٩٠ AH) of the most important scientific works in the education hair; as a before or after did not show equivalent or near your on the large number of what appeared with them in the field to that received this poem with great interest by scientists an explanation and a statement of their meanings and purposes, each according to scientific and literary orientation, the most famous explanations of this systems explanation of Imam Abu Shama Maqdisi (d. ٦٦٥ AH) named "highlighting meanings to explain Haraz aspirations, explain the Imam Al-Jabari (d. ٧٣٢ AH) named" treasure meanings to explain Haraz aspirations", has abounded Astdrakat the latter to Abu Shama, so the aim of this research is to collect some Astdrakat Jabari on the Abu Shama and study scientific study, trying as much as possible penalties, according to the researcher shows and God bless, Est un poème (aspirations Haraz et félicitations attiré) à l'Imam Abou Kassim

* أستاذ بقسم العلوم الإسلامية، بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، بجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجمهورية الجزائرية.

Shatby de travaux scientifiques les plus importants dans les cheveux de l'éducation (d ٥٩٠ AH.); Comme avant ou après ne montrent pas équivalent ou près de votre sur le grand nombre de ce qui semblait avec eux dans le domaine de qui a reçu ce poème avec grand intérêt par les scientifiques une explication et une déclaration de leurs significations et fins, chacun selon l'orientation scientifique et littéraire, les plus célèbres des explications de cette explication des systèmes de l'Imam Abu Shama Maqdisi (d. ٦٦٥ AH) nommés "soulignant significations pour expliquer aspirations Haraz, expliquer l'Imam Al-Jabari (d. ٧٣٢ AH), nommés« significations au trésor pour expliquer aspirations Haraz ", a abondé Astdrakat ce dernier à Abu Shama, de sorte que le but de cette recherche est de recueillir quelques Astdrakat Jabari sur le Abu Shama et étudier étude scientifique, en essayant autant que les sanctions possibles, selon les émissions de chercheur et que Dieu bénisse.

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد: فإن علم القراءات من أشرف العلوم الشرعية لتعلقه بالقرآن الكريم أشد التعلق، لذا انبرى لهذا العلم ثلة من العلماء بتدوينه وتأصيل مسائله نظما ونثرا، فكثرت بذلك تآليفهم عبر العصور وخاصة في عصر نهضة العلوم بالضبط في القرنين الرابع والخامس، ومن بين هؤلاء الذين سخروا أنفسهم لخدمة كتاب الله الإمام أبو القاسم بن فيرُّه الشاطبي (ت٥٩٠هـ) ومنظومته الشهيرة التي سميت باسمه وهي"حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع"، والتي اختصر فيها كتاب "التيسير" لأبي عمرو الداني.

ونظرا لشهرة هذه المنظومة عن سائر المنظومات في ذلك العصر لقوة بلاغتها ولدقة أسلوبها، تهافت الكثير من علماء القراءات على الاهتمام بهذا النظم بشرحه وبيان معانيه، ومن بين هؤلاء الشراح أبو شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ) في شرحه المسمى"إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، والإمام برهان الدين الجَعْبَري (ت٧٣٢هـ) في شرحه المسمى"كنز المعاني في شرح حرز الأماني".

ويعد شرح أبي شامة على الشاطبية من الشروح المميزة نظرا لغزارة مادته من توضيح المبهم وتوجيه القراءات مع الاستشهاد بكلام العرب من شعر ونثر، إلا أننا وجدنا الإمام الجعبري الذي جاء بعد أبي شامة قد استدرك عليه بعض المسائل في علم القراءات مبينا وجهة نظره في المسألة مستعينا بما أوتي من شواهد وغير ذلك.

لذلك يأتي هذا المقال ليسلط الضوء على بعض استدراكات الجعبري على أبي شامة في شرح الشاطبية لنطرح سؤالا مهما وهو: هل استدراكات الجعبري التي سنذكرها مسلَّم له بها ؟ وهل تنقص تلك الاستدراكات من قيمة الشرح وصاحبه؟

هذا وقد قسمت المقال إلى مبحثين:

المبحث الأول: تعريف موجز بالأئمة الثلاثة الشاطبي وأبي شامة والجعبري.

المبحث الثاني: تعريف الاستدراك وفائدته.

المبحث الثالث: نماذج عن استدراكات الجعبري على أبي شامة في شرح الشاطبية.

المبحث الأول

تعريف موجز بالأئمة الشاطبي و أبي شامة والجَعبَري

أولا: التعريف بالإمام الشاطبي:

أ- اسمه ونسبه ومولده:

هو القاسم بن فيرّه بن خلف بن أحمد الشاطبي، الرعيني الأندلسي، المقرئ، الشافعي الضرير، ولد في آخر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة للهجرة بشاطبة من الأندلس، ونشأ: نشأة صالحة، ودرس عددا من العلوم في بلدته شاطبة، فقرأ القراءات وأتقنها فيها على أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي العاص النفزي، ثم رحل إلى بلنسية، وسمع من علمائها عددا من الكتب والمتون، ثم رحل سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة للحج، ودخل مصر فأُكرِم وأُعلِي قدرُه وتصدر فيها لتعليم القراءات واللغة والنحو، وأتم فيها قصيدته اللامية في القراءات السبع، فقصده الناس من جميع الأقطار، ولما فتح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس توجه الشاطبي فزاره سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وصام به رمضان ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يقرئ فيها القرآن حتى توفي: .[1]

ب- مؤلفاته وآثاره:

للإمام: جملة من المؤلفات البديعة والتي عمّ نفعها، وانتشر بين الناس فضلها ومن أشهرها في ذلك:

– حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، وهي القصيدة المشهورة المعلومة.

– عقيلة أتراب المقاصد في أسنى المقاصد، وهي قصيدة رائية في علم رسم المصاحف.

– ناظمة الزهر، وهي قصيدة في عد آي سور القرآن.

فهذه هي أبرز مآثره، وهي عمدة في أبوابها، وله سواها.

ج– وفاته:

توفي رحمه الله تعالى يوم الأحد، الثامن وعشرين من جمادى الآخرة، سنة تسع وخمسمئة بالقاهرة عن اثنين وخمسين سنة، فرحمه الله رحمة واسعة.[٢]

ثانيا: التعريف بالإمام أبي شامة:

أ– اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ الإمام الحجة الحافظ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان أبو القاسم المقدسي ثم الدمشقي الشافعي، المعروف بأبي شامة، وسمي بذلك لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة (٥٩٩هـ).[٣]

ب– نشأته العلمية:

قرأ القرآن صغيرا، وأخذ القراءات على الإمام السخاوي، وذلك سنة ست عشرة وستمائة(٦١٦هـ) وروى الحروف عن أبي القاسم بن عيسى بالإسكندرية، وسمع صحيح البخاري من داود بن ملاعب، وأحمد بن العطار، وسمع مسند الشافعي من الشيخ الموفق، وكتب كثيرا من العلم، وأحكم الفقه، ودرس وأفتى وبرع في العربية، وولي مشيخة الإقراء بتربة الملك الأشرف، ومشيخة دار الحديث.[٤]

فنلاحظ من خلال نشأته العلمية أنه تعلم وأخذ القراءات في سن مبكر حوالي السنة السابعة عشر من عمره، وهذا يدل على مدى شغفه وحبه لطلب العلم.

ج– مؤلفاته وآثاره العلمية:

صنف الإمام أبو شامة رحمه الله تعالى جملة من التصانيف النافعة، ومن

أشهرها مايلي:

– الباعث على إنكار البدع والحوادث، تحقيق د.مشهور بن حسن آل سلمان، دار الراية، الرياض ط١[١٤١٠هـ–١٩٩٠م].

– المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق د.إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١[١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م].

– ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري، تحقيق د.نشأت بن كمال المصري،المكتبة الإسلامية القاهرة ط١[١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م].

– شرحه المختصر للشاطبية المسمى إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، تحقيق د.إبراهيم عوض دار الكتب العلمية، بيروت، وهو محل الدراسة.

وغيرها من مصنفات في علوم متعددة، مما يشعر برسوخ قدمه وسعة علمه في سائرالفنون ومختلف العلوم.

د– وفاته:

ذكر أصحاب التراجم في وفاته أن رجلين دخلا عليه يستفتيانه، فضرباه ضربا مبرحا كاد أن يأتي على أجله، ثم ذهبا ولم يدر من سلَّطهما عليه، وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة خمس وستين وستمائة (٦٦٥هـ)، فرحمه الله رحمة واسعة.[٥]

ثالثا: التعريف بالإمام الجَعبَري:

أ– اسمه ونسبه ومولده:

الإمام المقرئ الشيخ برهان الدين أبو محمد إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الرِّبعي الجَعبَري الخليليّ السلفيّ[٦]، ولد سنة أربعين وستمائة (٦٤٠هـ) أو قبلها بقليل برَبَض[٧] قلعة جَعبَر.[٨]

ب– نشأته العلمية:

كان والد الإمام الجعبري هو من يأخذه إلى مجالس العلماء ويرافقه في التعرف عليهم والاستفادة منهم فتلقى أنواعا من العلوم العقلية والنقلية عن جمع من علماء قلعة جَعبَر ومشايخ بغداد والموصل ودمشق رواية ودراية، فقرأ القراءات السبع على الشيخ أبي الحسن علي بن عثمان الوجوهي البغدادي (ت٦٧٢هـ) ودرس

الشاطبية على أبي أحمد عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش البغدادي الحنبلي (ت٦٧٦هـ)، وقرأ القراءات العشر على أبي عبد الله المنتجب الحسين بن الحسن التكريتي(ت٦٨٨هـ).[٩]

ج- مؤلفاته وآثاره العلمية:

أكثر الجَعبَري من التصانيف في شتى العلوم نظما ونثرا تجاوزت مئة مصنَّف أغلبها رسائل وقصائد[١٠] وأبرز هذه المصنفات:

- نهج الدماثة في قراءة الثلاثة(منظومة في قراءات أبي جعفر ويعقوب وخلف العاشر).
- جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد.
- حسن المدد في فن العدد.
- كنز المعاني في شرح حرز الأماني وهو محل الدراسة.

وغيرها الكثير من المصنفات التي وصفها الكثيرون بالدقة والإتقان والتحرير، والتي تدل على غزارة علم هذا الإمام المقرئ.

د- وفاته:

استوطن الإمام الجَعبَري في فلسطين بلد الخليل إبراهيم عليه السلام أكثر من أربعين سنة حتى توفي بها يوم الأحد في ثالث عشر أو خامس عشر من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة(٧٣٢هـ) عن اثنين وتسعين سنة[١١] فرحمه الله رحمة واسعة.

المبحث الثاني
تعريف الاستدراك وفائدته

أولا: مفهوم الاستدراك:

أ-**مفهوم الاستدراك لغة:**

أصل الكلمة من الفعل [دَرَكَ] مصدره الدَّرَك بمعنى: اللحاق بالشيء، والإدراك اللحوق، يقال: مشيت حتى أدركته،وعشت حتى أدركت زمانه، واستدرك الشيءَ بالشيءِ حاول إدراكه به[١٢]، وقال ابن فارس "الدال والراء والكاف أصل واحد وهو لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه، يقال: أدركت الشيءَ أُدركه إدراكا، ويقال أدرك

الغلام والجارية إذا بلغا، وتدارك القوم: لحق أولهم بآخرهم"[١٣]، ووزن (استدراك) استفعال يفيد معنى الطلب، وتستخدم في المعاني، قال الزمخشري "وتدارك خطأ الرأي بالصواب واستدركه واستدرك عليه قوله"[١٤]، وفي المعجم الوسيط: "تدارك الشيء بالشيء: أتبعه به، يقال: تدارك الخطأ بالصواب والذنب بالتوبة، واستدرك عليه القول: أصلح خطأه أو أكمل نقصه أو أزال عنه لَبسا."[١٥]

ب- مفهوم الاستدراك اصطلاحا:

الاستدراك العلمي قائم على المعنى اللغوي السالف الذكر فيُستخلص منه ما يأتي:

- أن في الاستدراك سابقا مستدرَكا ولاحقا مستدرِكا.
- أن اللاحق في الاستدراك مصلحٌ لخطأ الأول، أو مكمِّل لنقصه، أو كاشف عنه لَبسَه.

وبالتالي يمكن تعريف الاستدراك في هذا المقام على أنه: إتباع القول الأول بقولٍ ثانٍ يصلح خطأه أو يكمل خطأه أو يزيل عنه لَبسا، وعلى هذا المعنى جرى استخدام العلماء لهذه الكلمة في مؤلفاتهم وتعقباتهم في شتى العلوم.

تنبيهات:

- إن الاستدراك على كلام العلماء لا يُفهم منه الانتقاص من قدرهم، ذلك أن العصمة لنصوص الشرع الصحيحة، وأما سائر كلام البشر فقد أدركته الأوهام، غير أنه من ليس من اللائق تجهيل صاحب الكلام أو ذمه بشدة، وإنما ينبغي أن يكون التعقيب علميا إلى جانب الوقوف مع الحق وصيانة العرض، فالناس في حاجة إليه كل حين.
- الاستدراك العلمي خير معين على التحصيل، حيث يسد بذلك ثغرة أو يقوي حجة، فكم كان في كثير من الاستدراكات من إجابة على تساؤل في ذهن القارئ أو حل لمشكلة في الفهم.
- إن قبول الاستدراك أو رده مسألة خاضعة لقواعد البحث، وليس في كثير منها ما نسلّم به من كل وجه، فيبقى مدار قبول الاستدراك على قوة الحجة،وهذا مجال واسع للعلماء فيه عدة طرق تتفاوت قوة وضعفا ووضوحا وخفاء، والناس في أخذها وردها

على درجة تفاوتها.[16]

المبحث الثالث

نماذج عن استدراكات الإمام الجعبري على أبي شامة وتحليلها

أولا: الاستدراكات الواردة في المقدمة:

١– بدأ الإمام الشاطبي قصيدته بالبسملة اقتداء بالقرآن الكريم المفتتح بسورة الفاتحة المتصدرة بالبسملة، ثم ثنى بالصلاة على النبي ﷺ، وثلّث بالحمدلة قائلا:

بَدَأْتُ بِبِسْمِ ٱللهُ فِي النَّظْمِ أَوَّلاَ   تَبَارَكَ رَحْمَاناً رَحِيماً وَمَوْئِلاَ
وَثَنَّيْتُ صَلَّى اللهُ رَبِّي عَلَى الرِّضَا   مُحَمَّدٍ الْمُهْدى إلَى النَّاسِ مُرْسَلاَ
وَعِتْرَتِهِ ثُمَ الصَّحَابَةِ ثُمَّ مَنْ   تَلاَهُمْ عَلَى ٱلإِحْسَانِ بِالْخَيْرِ وُبَّلاَ
وَثَلَّثْتُ أَنَّ ٱلْحَمْدَ لِلهِ دائِماً   وَمَا لَيْسَ مَبْدُوءًا بِهِ أَجْذَمُ الْعَلاَ[17]

بعد أن ذكر الجَعبَري الجوانب اللغوية والنحوية لهذه الأبيات قال: "فإن قلتَ: فهلاّ بدأ به[18]الناظم قلتُ: قد بدأ به على رواية ابن عباس رضي الله عنهما صريحا وعلى غير معنى، إذ حمد الله يحصل بذكر أحد أسماءه بخلاف غيره، فلهذا اتصل علاؤه، وقيل للشروع في الأمر بعد الخطبة وقد تقدمته، وقيل هو في سياق البداية، وقيل الأَوْلَى تقديمه."[19]

ففي العبارة الأخيرة للجَعبَري نرى أنه ذكر رأي بعض شراح الشاطبية في مسألة تقديم الحمدلة على البسملة ولم ينسبه إلى صاحبه، وبالرجوع إلى شراح الشاطبية نجد هذا الرأي يعود للإمام أبي شامة وهذا نصه: "ولو أن الناظم: قال: وثنيت أن الحمد، وثلثت صلى الله، لكان أَوْلى تقديما لذكر الله تعالى على ذكر رسوله ﷺ."[20]

فيستدرك عليه الجعبري قائلا: "قلتُ: لايحصل غرض ختم الخطبة، وهو براعة المطلع."[21]

لكن الإمام أبا شامة لم يجزم بهذا الاستدراك ووجَّه كلام الإمام الشاطبي بأن البسملة في أول كلامه تتضمن ذكر الله تعالى فأراد أن يختم المقدمة بذكره سبحانه، فهو كقوله تعالى في خاتمة سورة الصافات ﴿وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾، وارتضى هذا

التعليل ونقله السمين الحلبي في العقد النضيد.[٢٢]

٢- يقول الشاطبي:

وَهُنَّ الَّلوَاتِي لِلْمُوَاتِي نَصَبْتُهاَ مَنَاصِبَ فَانْصَبْ فِي نِصَابِكَ مُفْضِلاَ[٢٣]

يستدرك الإمام الجعبري على الإمام أبي شامة في هذا البيت لما قام بإعراب كلمة"هُنَّ"حيث قال فبها "هن: ضمير القراءات والروايات، والطرق: مبتدأ خبرها اللواتي، وضع لجمع اللاتي، وجمع الجمع باعتبار الأنواع، فضَعُف قول من قال: ضمير الطرق."[٢٤]

وعبارة الإمام أبي شامة: "وهُنَّ: ضمير الطرق"[٢٥]، وهذا أيضا رأي الإمام الموصلي في شرحه المعروف بشرح شعلة إذ يقول: "هُنَّ: ضمير راجع إلى الطرق."[٢٦]

ولتحرير محل الخلاف بين العلماء في هذه المسألة يمكن الجمع بين القولين ونقول إن الضمير "هنّ" يعود إلى القراءات والروايات والطرق، طالما أن هذا الجمع لايؤثر على المعنى في، وهذا ما ذكره الإمام ابن القاصح (ت٨٠١هـ) حيث يقول: "هُن: أي القراءات والروايات والطرق."[٢٧] وهو ما عليه أحد الشراح المحدثين كالدكتور إيهاب فكري.[٢٨]

٣- أورد الإمام الجعبري استدراكه على الإمام أبي شامة في معرض شرحه لقول الشاطبي:

وَمِنْ بَعْدِ ذِكْرِي الحَرْفَ أُسْمِي رِجَالَهُ مَتَى تَنْقَضِي آتِيكَ بِالوَاوِ فَيْصَلاَ[٢٩]

ووجه استدراك الجعبري في هذا البيت هو أن إثبات الياء في فعل جواب الشرط (آتيك) على الأصل تنبيه على أن إثبات الياء في فعل الشرط (تنقضي) ليس لتجنب الزحاف الذي ينفر منه الطبع السليم كما قال أبو شامة[٣٠] وعضد الجعبري استدراكه هذا قائلا: "إذ هو هنا [أي: الزحاف] معتدل، قال التبريزي: وربما كان الزحاف ألذ سمعا من الأصل، ولو قال: إذا تنقضي لاستعمل الفصحى، إذ إذا لا يتحتم جزمها في الشعر."[٣١]

فنرى هنا أن الإمام الجعبري لم يكتف بذكر استدراكه فقط، بل راح يستدل

على ذلك بأقوال أهل اللغة حتى يبرهن على صحة ما يقوله في المسألة.
٤– في قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

يَرَى نَفْسَهُ بِالذَّمِّ أَوْلَى لِأَنَّهَا   عَلَى المَجْدِ لَمْ تَلْعقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلاَ[٣٢]

استدرك أبو شامة على الشاطبي في قوله" لَمْ تَلْعقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلاَ"حيث قال: "ولو قال: لم تصبر على الصبر والألا لكان أحسن، لأن الألا لا يُلعق وهو نبت يشبه الشيح رائحة وطعما، ولا يُستَعظم لعقه وإنما يستعظم الصبر عليه مع العدم."[٣٣] فيأتي الجعبري ويستدرك عليه قائلا: "إقدامه على تناوله إقدام على الصبر عليه، وعطف الألا من باب الإيجاز[٣٤] وهو عطف معمول عامل مقدر مخالف لعامل المعطوف عليه كقوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٠٦]."[٣٥] فالتقدير: واغسلوا أرجلكم. واستدل أيضا ببيت شعري لصاحبه عبد الله بن الزِّبَعْرِي: "وَرأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا أي: معتقلا رمحا."[٣٦]

ويضيف الإمام السمين الحلبي مؤيدا قول الجعبري فيقول: "فإن قيل: الألاء لا يُلعَق فكيف أدرجه مع ما يُلعَق؟ قيل: أراد به القدرَ المشترك، أي لم تتناول ولم تطعم، فيَعُمّ النوعَين، أو يكون على إضمار فعل لائق أي لم تلعق من الصَّبِر[٣٧] ولم تأكل من الألاء، وهذا نحو ما قيل في قوله تعالى﴿وَالذينَ تَبَوّءُو الدّارَ وَالإيمَانَ﴾ [سورة الحشر: ٠٩].[٣٨]

فاستدراك الإمام الجعبري هنا في محله بلا ريب طالما أنه أتى بأدلة قوية ترجح ما قاله في باب تقدير الكلام المحذوف، وأيضا ما ذكره السمين الحلبي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإمام الشاطبي كان لغويا بارعا في كتابة هذه الأبيات.

الاستدراكات الواردة في باب سورة أم القرآن:

١– عند قول الشاطبي رحمه الله تعالى:

عَلَيْهِم إِلَيْهِم حَمْزَةٌ وَلَدَيْهِم   جَمِيعًا بِضَمِّ الهَاءِ وَقْفًا وَمَوْصِلاَ[٣٩]

أورد الإمام الجعبري استدراكه على استدراك الإمام أبي شامة القائل أن في هذا البيت بيان لقراءة حمزة فقط، وأنها بضم الهاء في الكلمات الثلاث المذكورة في البيت، أما

قراءة الباقين فلا تؤخذ من البيت لأنهم يقرؤون بكسر الهاء، والكسر ليس ضدا للضم المذكور في النظم، وبالتالي لا تتبين قراءة الباقين من قوله"بضم الهاء" فيقول: "ولو قال: بضم الكسر، لبان ذلك."[٤٠] ثم أتى بعد ذلك بكلام غريب فقال "لعله أراده، وسبق لسانه حال الإملاء إلى قوله: بضم الهاء."[٤١]

فمثل هذا الكلام لا يُتَصَوَّر وهو غريب، فقال الجعبري مفندا هذا الوهم: "ولو سبق في الإملاء لاستدركه في الإقراء."[٤٢]

وأما استدراك أبي شامة في مسألة ضم الهاء وكسرها فاكتفى الجعبري في رده بقوله: "وهذه من مسائل هاء الكناية، فأولى بها ببابها."[٤٣]

نلاحظ هنا أن استدراك أبي شامة كان في محله، وقد وُجِّه عمل الشاطبي هنا بأنه اعتمد على الشهرة وبأن الهاء لم تُفتَح لغة[٤٤] غير أن هذا الاعتراض لا يصح وذلك لأن الشاطبي قيَّد ما شابهه في قوله:

وَكَسْرُ بُيُوتٍ وَالبُيُوتِ يُضَمُّ عَنْ   حِمَى جِلَّةٍ..................[٤٥]

فنرى أنه قابل بين الكسر والضم لما أراد تعيينهما، وهو ما قصده أبو شامة باستدراكه، ومثله في التنبه لهذا الأمر ابن الجزري: في ذكره لكيفية القراءة بقوله: [٤٦]

عَلَيْهِمُو إِلَيْهِمُو لَدَيْهِمُو   بِضَمِّ كَسْرِ الهَاءِ ظَبْيٌ فَهِمُ

ثم إن الشاطبي بيّن قراءة الباقين وذلك بقوله: وَفِي الوَصْلِ كَسْرُ الهَاءِ بِالضَّمِّ شَمْلَلاَ[٤٧]، وقوله رحمه الله تعالى: وَقِفْ لِلْكُلِّ بِالكَسْرِ مُكْمِلاَ[٤٨]، لكن هذا فيه تكلُّف ظاهر وذلك لطول الفصل بين هذين البيتين والبيت المقصود من الاستدراك.

٢- عند قول الشاطبي: وَمِنْ قَبْلِ هَمْزِ الْقَطْعِ صِلْهَا لِوَرْشِهِمْ[٤٩]

والكلام هنا عن صلة ورش لميم الجمع، وأن ذلك فيما وقع قبله همزة قطع، وقد قدم الشاطبي قبل هذا البيت حُكمَها عند قالون وبن كثير في قوله:

وَصِلْ ضَمَّ مِيمِ الْجَمْعِ قَبْلَ مُحَرَّكٍ   دِرَاكاً وَقَالُونٌ بِتَخْيِيرِهِ جَلاَ[٥٠]

ولأجل هذا اعترض أبو شامة قائلا: "كان يلزمه أن يذكر مع ورش ابن كثير وقالون لئلا يُظَن أن هذا الموضع[٥١] مختص بورش، كما قال في باب الإمالة: رمى

صحبة أعمى، ولو قال: وَمِنْ قَبْلِ هَمْزِ القَطْعِ وَافَقَ وَرْشُهُم، لحصل الغرض."[٥٢]

لكن اعتراض أبي شامة لم يسلم من استدراك الجعبري حيث قال: "لا يوهِم مع معرفة قاعدته وهو أنه يذكر صاحب الأصل أولا، ثم يفرد الموافق نحو: وَصْفًا زَجْرًا وَذِكْرًا أَدْغَمَ حَمْزَة[٥٣]"[٥٤]

ثم إن قول أبي شامة: "وافق"ملبس من حيث أنه تقدم ذكر ابن كثير وقالون فلا يُدرَى موافقته لأيهما كما أن قالون وابن كثير ليسا على مذهب واحد في هذه الصلة كما هو معلوم، فلا يُدرَى أوافق الأقرب على التخيير، أو الأبعد على الصلة.[٥٥]

فالملاحظ أن استدراك أبي شامة لم يضف جديدا على ما ذكره الشاطبي، بل عبارته في ذلك تحتاج إلى تأويل على ما تقدم بيانه غير أننا نجد من وجَّه استدراك أبي شامة وهو الإمام السمين الحلبي الذي قال: "وقد ظهر لي جواب، وهو الأصل في الباب ابن كثير، وهو المحدَّثُ عنه وهو جازم بذلك بخلاف قالون فإن عنه خلافا، فرجوع الموافقة لصاحب الأصل الذي لا خلاف عنه أوْلى"[٥٦] وهذا أحسن ما يقال في توجيه كلام أبي شامة: .

٣– يقول الشاطبي:

وَإِنْ تَسْكُنِ اليَا بَيْنَ فَتْحٍ وَهَمْزَةٍ   بِكِلْمَةٍ أَوْ وَاوٌ فَوَجْهَانِ جُمِّلاَ[٥٧]

ذكر الإمام أبو شامة أن الجيم من كلمة"جُمِّلاَ" يمكن أن تكون رمزا لورش حيث يقول: "والجيم من قوله جُمِّلاَ يجوز أن تكون رمزا لورش، ولا يضر تسميته في البيت الآتي."[٥٨]

لكن هذا الكلام لم يسلم من اعتراض الإمام الجعبري حيث فند ذلك قائلا: "ليست جيم جُمِّلاَ رمزا لتصريحه بعد بصاحبها، والصريح أقوى من الرمز، وهذا من أحسن الحشو ولما لم يحل الوجهين باللام العهدية ظهر عمومها فعينها بقوله:

بِطُولٍ وَقَصْرٍ وَصْلُ وَرْشٍ وَوَقْفُهُ   وَعِنْدَ سُكُونِ الوَقْفِ لِلْكُلِّ أُعْمِلاَ[٥٩]

فاستدراك الجعبري واضح في أن الإمام الشاطبي بما أنه ذكر ورشا باسمه الصريح فلا يمكن أن يكرر ذكره بالرمز في البيت قبله، وقد منع هذا أيضا الإمام أبو

عبد الله الفاسي معللا ذلك بقوله: "لأن الرمز لا يجتمع مع صريح الاسم."[٦٠]

غير أن الإمام السمين الحلبي حاول إنصاف كلام أبي شامة رادا على ما ذكره أبو عبد الله الفاسي قائلا: "وهذا الذي ذكره أبو عبد الله صحيح لكن في غير ما نحن فيه، وذلك بأن يجعل الرمز لقارئ آخر، وقد نص أبو شامة على ذلك، أما إذا كان الرمز عبارة عن ذلك الاسم الصريح فهو بمنزلة تكرار الرمز أو الاسم، إذ لا محذور في ذلك."[٦١]

٤- قال الشاطبي:

فَفِي الْيَا يَلِي والْوَاوِ وَالحَذْفِ رَسْمَهُ   وَالاَخْفَشُ بَعْدَ الْكَسْرِ ذا الضَّمِّ أَبْدَلاَ
بِيَاءِ وَعَنْهُ الْوَاوُ في عَكْسِهِ وَمَنْ   حَكَى فِيهِمَا كَالْيَا وَكَالْوَاوِ أَعْضَلاَ

فقبل تبيان استدراك الجعبري على أبي شامة، لا بأس أن نذكر شرحا مختصرا للبيت الأول خاصة فالإمام الشاطبي يبين هنا أن القارئ حمزة لديه في أحد مذهبيه في الوقف على الهمز يتّبع صورة الهمزة في الوقف عليها فإذا كُتبَت على الواو وقف بالواو، وإذا كتبت على الياء وقف بالياء،، وإذا لم تكن لها صورة بأن كُتبت على السطر حذفها لأنها أصلا لا صورة لها فكان الأولى حذفها ثم بيّن أن الأخفش له إبدال الهمز المضموم الذي بعده كسرٌ ياءً خالصة.

فالظاهر من البيت الأول أن الإمام الشاطبي لم يذكر الألف في قوله: "ففي اليا يلي والواو" وهذا ما جعل الإمام أبا شامة يعلل صنيع الشاطبي قائلا: "ولم يذكر الألف وإن كانت الهمزة تُصَوَّر بها كثيرا لأن تخفيف كل همزة صُوِّرَت ألفا على القواعد المتقدمة لا يلزم منه مخالفة الرسم."[٦٢]

بينما نجد الجعبري يستدرك عليه وواصفا إياه بالمتوهم قائلا: "واستغنى عن ذكر الألف بذكر أختيه لا لاتحاد الرسم والقياس كما تُوُهِّم لاختلافهما في اشمأزَّت."[٦٣]

لكننا نقول: إن عبارة أبي شامة صريحة في نفي لزوم المخالفة، ولا يُفهَم منه لزوم الاتحاد فقول أبي شامة "لأن تخفيف كل همزة صُوِّرَت ألفا على القواعد المتقدمة" لا يلزم منه مخالفة الرسم، وعليه فاحتجاج الجعبري باختلافهما في "اشمأزت" لا يلزم

أبا شامة، والله أعلم.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث اليسير أخلص بنتائج أدونها كالتالي:

– إن متن الشاطبية أصل معتبر بلا شك في علم القراءات، ولأجل ذلك أقبل عليه العلماء واعتنوا به.

– إن للجعبري: في هذا العلم قدما راسخة وحجة واضحة، كما ظهر هذا جليا في كثير من استدراكاته وتعقيباته على الإمام أبي شامة: .

– إن شرح الجعبري على الشاطبية –على غرار شرح أبي شامة وغيره من الشروح– يُعتبر شامة غراء، تحقق له ذلك بقوة قلمه، وبراعة لغته، فهو يُعَد من أبرز الشروح التي اعتنت بالجانب اللغوي للشاطبية.

– الاستدراك العلمي يرسخ المعلومة، ويقوي نظر الباحث في مسائل العلوم المتنوعة، وعليه فعلى المعتني بالشاطبية أن يوليها عناية تامة من تحقيق للمسائل وضبطها بسبر الدلائل.

– إن الاستدراك العلمي ينبغي أن يُعتبَر اجتهادا لابد من اعتباره بالقواعد والأصول.

هوامش البحث:

١. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق دبشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١[١٤٠٢هـ–١٩٨١م]٢١/٢٦١.

٢. وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١[١٣٩٧هـ–١٩٧٧م]٤/٧١.

٣. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، شمس الدين الذهبي ، اسطنبول، ط٣[١٤١٦هـ–١٩٩٥م] ٣/١٣٣٤

٤. المصدر نفسه، ٣/١٣٣٥.

٥. تذكرة الحفاظ ، شمس الدين الذهبي، تحقيق د.عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب لعلمية، بيروت، لبنان، د.ت.ط/٤/١٤٦٠.

٦. الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ط١٥ (١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)١/٥٥

٧. الرَّبض:أساس المدينة أو فضاؤها أو ماحولها، ومنه مرابض للبقر والغنم كالمعــاطن للإبل، ينظر

لسان العرب لابن منظور، ج٧/ص١٥٢

٨. نسبة إلى الأمير سابق الدين جعبر بن القشيري، احد أمراء العرب أيام السلطان ملك شاه السلجوقي، ينظر معجم البلدان للحموي، ج٢/ص١٤٢.

٩. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، شمس الدين الذهبي، ١٤٦٤/٣.

١٠. المصدر نفسه، ١٤٦٥/٣.

١١. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق د.عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، د.ت.ط.٣٥٠/١٨.

١٢. لسان العرب، ابن منظور، ١٣٦٣/٤.

١٣. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق د.عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١(١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ٢٦٩/٢.

١٤. أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق د.محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ٢٨٥/١.

١٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤(١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) ٢٨١/١.

١٦. استدراكات أبي شامة على الشاطبي، أحمد السديس، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة، عدد٤٥(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)ص١٦.

١٧. حرز الأماني ووجه التهاني، الشاطبي، تح د.أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، المملكة العربية السعودية، ص٠٢.

١٨. أي البسملة.

١٩. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، برهان الدين الجعبري تحقيق د.أحمد اليزيدي، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) ٤٥/٢.

٢٠. إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، أبوشامة المقدسي تحقيق د.إبراهيم عوض، دار الكتب العلمية، د.ت.ط .ص١٢.

٢١. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، برهان الدين الجعبري، ٤٥/٢.

٢٢. عقد النضيد في شرح القصيد، السمين الحلبي تحقيق د.أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، ط١(١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)ص٢٧.

٢٣. حرز الأماني ووجه التهاني، الشاطبي، ص٠٦.

٢٤. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، برهان الدين الجعبري، ٢ /١٠٣.

٢٥. إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، أبو شامة المقدسي، ص٣٣.

٢٦. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، أبوعبد الله الموصلي، تحقيق د.زكرياء عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ط/ص٢٢.

٢٧. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح، تحقيق د.محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢(١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)ص١٧.
٢٨. تقريب الشاطبية، إيهاب فكري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ص٢٤
٢٩. حرز الأماني ووجه التهاني، الشاطبي، ص٠٦.
٣٠. إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، أبو شامة المقدسي، ص٣٦
٣١. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، برهان الدين الجعبري، ١١٣/٢.
٣٢. حرز الأماني ووجه التهاني، الشاطبي، ص٠٩.
٣٣. المصدر السابق، ١١٣/٢.
٣٤. إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، أبو شامة المقدسي، ص٥٩.
٣٥. أي حذف العامل في الألا وهو:ولم تطعم من الألا.
٣٦. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، برهان الدين الجعبري، ١٦٥/٢.
٣٧. وهو عصارة شجر مرّ.
٣٨. العقد النضيد في شرح القصيد السمين الحلبي، ٣٧١-٣٧٢.
٣٩. حرز الأماني ووجه التهاني، الشاطبي، ص١١.
٤٠. إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، أبو شامة المقدسي، ص٧٢.
٤١. المصدر نفسه.
٤٢. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، برهان الدين الجعبري، ٢١١/٢.
٤٣. المصدر نفسه، في نفس الصفحة.
٤٤. ينظر العقد النضيد في شرح القصيد للسمين الحلبي، ج١/ص٣٧٢-٣٧٣.
٤٥. حرز الأماني ووجه التهاني، الشاطبي، ص٥٣.
٤٦. متن طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق د.تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، جدة، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٤م)/ص٣٩.
٤٧. حرز الأماني ووجه التهاني، الشاطبي، ص١٢.
٤٨. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٤٩. المصدر السابق، الصفحة نفسها
٥٠. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
٥١. يقصد صلتها قبل همزة القطع.
٥٢. إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، أبو شامة المقدسي، ص٧٤
٥٣. وهذا مثال لإفراده الموافق هنا وهو حمزة لأبي عمرو وهو صاحب الأصل.
٥٤. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، برهان الدين الجعبري، ٢١٥/٢-٢١٦.
٥٥. المصدر نفسه، ج٢/٢١٦

٥٦. العقد النضيد في شرح القصيد، السمين الحلبي، ٦٩٣/١.
٥٧. حرز الأماني ووجه التهاني، الشاطبي، ص١٨
٥٨. إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، أبو شامة المقدسي، ص١٢٣.
٥٩. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، برهان الدين الجعبري، ٣٧٠/٢.
٦٠. اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، أبو عبد الله الفاسي، تحقيق أ.عبد الله غنقاني، ١٧٢/١
٦١. العقد النضيد في شرح القصيد، السمين الحلبي، ٦٩٣/١.
٦٢. إبراز المعاني في شرح حرز الأماني، أبو شامة المقدسي، ص١٧٣.
٦٣. كنز المعاني في شرح حرز الأماني، برهان الدين الجعبري، ج٢/ص٥٢٠.

فهرس المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم برواية حفص.

– إبراز المعاني في شرح حرز الأماني أبو شامة المقدسي، تح. د.إبراهيم عوض، دار الكتب العلمية،د.ط

– استدراكات أبي شامة على الشاطبي أحمد السديس، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة، عدد ٤٥(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)

– الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ط١٥ (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)

– البداية والنهاية ابن كثير، تح د.عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، د.ت.ط.

– تذكرة الحفاظ تذكرة الحفاظ،شمس الدين الذهبي، تح د.عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د.ت.ط

– تقريب الشاطبية إيهاب فكري، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)

– سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح، تحقيق د.محمد شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢(١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)

– سير أعلام النبلاء الذهبي، تح د.بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١[١٤٠٢هـ-١٩٨١م]

– عقد النضيد في شرح القصيد السمين الحلبي، تح د.أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، ط١ (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)

– كنز المعاني في شرح حرز الأماني برهان الدين الجعبري تحقيق د.أحمد اليزيدي، طبعة وزارة الأوقاف المغربية، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)

– لسان العرب، ابن منظور، تح د.هاشم الشاذلي وآخرون، دار المعارف، بيروت، لبنان.د.ط.

– اللآلئ الفريدة اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، أبو عبد الله الفاسي، تح أ.عبد الله غنقاني، رسالة

ماجستير، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين(١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
– متن حرز الأماني ووجه التهاني، تح د.أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، المملكة العربية السعودية.
– متن طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق د.تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، جدة، ط١(١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
– معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، لبنان(١٣٩٧هـ-١٩٧٧م).
– معجم الوسيط مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤
– معجم مقاييس اللغة ابن فارس، تح د.عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)
– معرفة القراء الكبار معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبي،اسطنبول،ط ٣[١٤١٦هـ-١٩٩٥م]
– وفيات الأعيان ابن خلكان، تح د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١[١٣٩٧هـ-١٩٧٧م]

رقم الإيداع بدار الكتب: (٢٠١٢/١٨٦٢٠)
الترقيم الدولي الموحد: (ISSN. ٢٠٩٠-٩٩٩٣)